



## القدس في البرامج التعليمية التونسية التعليم الثانوي مثالا

أ.د. محمد نجيب بو طالب

أستاذ علم الاجتماع - جامعة تونس

### الملخص

نتيجة للسياسات والمواقف التي اتخذها الشعب التونسي ونخبه الثقافية والسياسية، خلال نضاله وبناء دولة الاستقلال، بعد دحر الاستعمار الفرنسي، كان من الطبيعي أن يكون للقضية الفلسطينية حضورها بتطوراتها وتأثيراتها على جماهير الأمة العربية في مختلف الساحات. كما كان من الطبيعي أن تواكب البرامج التعليمية في تونس هذه التوجهات المرتبطة بمختلف النشاطات السياسية، والثقافية، والتربوية، والاجتماعية في تونس وفي المنطقة العربية. فهل كانت مناهج التعليم التونسي بعد الاستقلال تجسد المشاعر التونسية الشعبية نحو أخوتهم في فلسطين، بعد أن تعرضت للاحتلال في 1948؟ وهل واكبت مناهج التربية والتعليم في تونس الحديثة مختلف الأحداث والتطورات والنضالات التي خاضها الشعب الفلسطيني على امتداد ساحات نضاله في فلسطين وفي خارجها، حيث مخيمات اللجوء والشتات التي تسبب فيها الاحتلال؟ لذلك سوف يتم التركيز في هذه

الدراسة على متابعة مستويات الحضور الفلسطيني عامة والمقدسي خاصة في برامج ومناهج التعليم والتربية في تونس بعد الاستقلال.

## المقدمة

بسبب العوامل التاريخية والحضارية والقومية تحظى فلسطين بمكانة خاصة في وجدان الشعب التونسي منذ القدم. ومنذ فترات ما قبل الاحتلال عام 1948 كان التونسيون يزورون فلسطين لأسباب مختلفة كالرحلة، والتجارة، والدراسة، والنضال، والحج وغيره. يشهد على ذلك اليوم مواقع وتسميات وألقاب وأحداث ووقائع وفعاليات تتلخص في مجملها في رمزية «باب المغاربة» بالقدس، وأسماء عديد العائلات المقدسية خاصة والفلسطينية عامة.

فالقدس في حد ذاتها مدينة عريقة تحتضن المسجد الأقصى وعديد المعالم التاريخية الدينية والثقافية الإسلامية والعربية، بنيت في سياق بناء حضاري تليد يربط بين المشرق والمغرب العربيين، ويحفل بالبطولات، ويوشى بالرموز التي خلّدها الأجداد لبناء أحد المراكز الحضارية العربية والإسلامية البارزة التي يفاخر بها أبناء الأمة، رغم كل المحن والشدائد التي مرت بها خلال العصر الحديث.

## أولا: فلسطين - تونس، علاقات وطيدة عبر التاريخ

كمثال على هذه العلاقة الفلسطينية التونسية، وتأكيداً لهذه المكانة التي يوليها الشعب التونسي ونخبه لمدينة القدس، نشير منذ البداية إلى الدور الذي لعبه أحد قادة الإصلاح العربي في العشرينيات من القرن الماضي، وأحد رواد النضال الوطني التونسي باعتباره مؤسس الحركة الدستورية في عشرينيات القرن الماضي ممن قادوا عملية الكفاح الوطني ضد الاحتلال الفرنسي، وهو الشيخ عبد العزيز الثعالبي. فكان من أهم العلامات المضيئة في تاريخ النضال التونسي من أجل فلسطين (الثعالبي، 1998)<sup>(1)</sup>.

(1) تضمن الكتاب وثائق مهمة عن مؤتمر القدس سنة 1931، وأهمها تقرير في شكل مسودة بخطه تحت عنوان: «الغاية الباعثة على عقد المؤتمر الإسلامي والمحاولات الفاشلة لإحباطه».



برز دور الثعالبي عندما انعقد مؤتمر القدس في بداية الثلاثينيات، حسبما ذكره سماحة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، الذي دعا إلى ذلك المؤتمر «من أجل إثارة اهتمام الرأي العام الإسلامي، وكسب عطفه، وتأليف جبهة إسلامية قوية تستطيع الوقوف في وجه الصهيونية العالمية». وكان المؤتمر قد تعرض لعمليات تشويه ممنهجة من قبل الحركة الصهيونية ومن والها؛ لمنعه وإفشاله من خلال صنع إشاعة، كونه سيبحث شأن الخلافة وسيختار خليفة جديدًا، الأمر الذي أثار ردود فعل عنيفة جدًّا، خاصة في بعض البلدان العربية والغربية، ومنها بريطانيا.

ويعدّ مؤتمر القدس أول المحاولات التاريخية الكبيرة الوحشية للدفاع عن فلسطين، حيث حضر إلى الجلسة الممتازة المنعقدة يوم 7 كانون الأول/ ديسمبر 1931 أكثر من 153 مندوبًا، وحضر من بينهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي من تونس، وهو أحد القائمين على نجاح المؤتمر بمعية قادة فكر وسياسيين آخرين، على امتداد الساحتين العربية والإسلامية.

وكان لانتفاضة 1929 في فلسطين تداعيات كبيرة على مواقف التونسيين في مواجهة النشاط الصهيوني بالبلاد، عندما أصبحت قضية تحرير فلسطين قضية وطنية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بقضية تحرير تونس وبلدان المغرب العربي. وكان للشيخ عبد العزيز الثعالبي الدور الأبرز، خاصة بعد مشاركته في مؤتمر القدس وعضوية أمانته بعد عام 1931، وتفعيل المؤسسات المتفق عليها في المؤتمر، وتشكّل «لجنة إغاثة فلسطين» و«جمعية الشباب المسلم» في منتصف الثلاثينيات، وما تبعها من عمليات تطوع في المقاومة.

أما في المرحلة الراهنة، فللسطين ونضالها من أجل التحرير والبناء الوطني، وللقدس الرمز والقدس العاصمة، مكانة عالية في وجدان الشعب التونسي ونخبه بمختلف شرائحها وتوجهاتها؛ إذ تجمع مكونات المجتمع المدني في تونس، من نقابات وروابط وأحزاب، على تقديم الدعم غير المشروط للشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، وعلى سبيل الذكر، لا الحصر، وخاصة خلال الفترة الأخيرة لعب النشطاء في المجتمع المدني التونسي أدوارًا فعالة في هذا

الاتجاه، ومن أهم هذه المنظمات: الائتلاف التونسي لمناهضة التطبيع والصهيونية، وجمعية تونس لأجل القدس وفلسطين، والجمعية الخيرية التونسية لدعم الصمود الفلسطيني، والاتحاد العام التونسي للشغل، والجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات، وجمعية القضاة التونسيين، والرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان، واللجنة الوطنية لدعم المقاومة في فلسطين، هيئة دعم المقاومة العربية، والاتحاد الوطني للمرأة التونسية...

## ثانياً: فلسطين والقدس في المنظومة التربوية التونسية، التعليم الثانوي مثالاً

كنتيجة للتوجهات والسياسات التي مرت بها القضية الفلسطينية وتطوراتها وتأثيرها على جماهير الأمة العربية، في مختلف الساحات، كان من الطبيعي أن تواكب البرامج التعليمية في تونس هذه التوجهات المرتبطة بمختلف النشاطات السياسية، والثقافية، والتربوية، والاجتماعية في تونس وفي المنطقة العربية. فهل كانت مناهج التعليم التونسي بعد الاستقلال تجسد المشاعر التونسية الشعبية نحو أخوتهم في فلسطين، بعد أن تعرضت للاحتلال في 1948؟ وهل واكبت مناهج التربية والتعليم في تونس الحديثة مختلف الأحداث والتطورات والنضالات، التي خاضها الشعب الفلسطيني على امتداد ساحات نضاله في فلسطين وفي خارجها، حيث مخيمات اللجوء والشتات؟

سنركز في هذه الدراسة على متابعة مستويات الحضور الفلسطيني عامة، والمقدسي بشكل خاص، في برامج ومناهج التعليم والتربية في تونس بعد الاستقلال، معتمدين على منهجية علمية. مع الأخذ بعين الاعتبار الملاحظات المنهجية الآتية:

1- لا نستطيع أن نعد القارئ بتغطية كل المراحل وتحليل كل المعطيات المبثوثة في ثنايا المراجع وأدبيات البحث؛ بسبب اتساع مجال البحث وصعوبة الإلمام بمختلف جوانب الموضوع. فالأمر يتطلب دراسة مستفيضة ومتابعة مطولة، تستوجب وقتاً أطول وجهداً أوسع. ولكننا سنعتمد على الدراسة الاستطلاعية، وفق مقارنة كميّة



لموضوع الدراسة، تمكننا من إعطاء فكرة عامة حوله.

2- إن منظومات التربية والتعليم في البلاد التونسية عرفت تغيرات كثيرة ومراحل مرتبطة بتوجهات سياسية مختلفة باختلاف مراحل التطور، الذي عرفته تونس منذ الاستقلال في عام 1956. كما ارتبطت باختلاف توجهات وإصلاحات الشخصيات السياسية القيادية وتوجهاتها الفكرية والأيدولوجية (الحناشي، 2007).

3- إن مكانة الحضور الفلسطيني، كموضوع تربوي دراسي، في المناهج والبرامج التونسية كان يتأثر، كماً وكيفاً، بالتطورات التي عرفتها مسيرة النضال الفلسطيني مثل الحرب على بيروت في الثمانينات، وانتقال منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت إلى تونس، وانتقال الجامعة العربية من القاهرة إلى تونس، ثم مرحلة اندلاع الانتفاضة الفلسطينية، وصولاً إلى أحداث 7 تشرين الأول/ أكتوبر عام 2023.

## 1-2 منهجية الدراسة

اعتمدت دراستنا لموضوع مكانة فلسطين عامة، والقدس خاصة، في المناهج الدراسية التونسية بمراحل التعليم الثانوي على منهجية كيفية تقوم على أخذ عينات من مادة البحث المتمثلة أساساً في النصوص التوجيهية، التي تصدرها وزارة التربية بتونس، خلال العقود الثلاثة الأخيرة. بالإضافة إلى مجموعة من الوسائل البيداغوجية المتمثلة في الكتب الدراسية، والوسائط التعليمية، وكل ما يمكن أن يفيد في إجلاء صورة الحضور الفلسطيني في المنظومة التربوية التونسية المعاصرة. كما اعتمدنا على إجراء مقابلات ميدانية مع أهل الاختصاص، وخاصة من القائمين على الشأن التوجيهي والمتفقدين في مواد الاجتماعيات والآداب والإنسانيات. كما تمت الاستفادة من مادة البحث في النواحي النظرية، وخاصة في مستويات التحليل التاريخي والسوسيولوجي، من مجموعة من الدراسات والأبحاث العلمية المتعلقة بواقع وتطور النظام التعليمي، والمسائل التربوية والفكرية والسياسية بتونس، التي لامست، بشكل أو بآخر، القضية الفلسطينية والتي صدرت خلال العقود الماضية.

## 2-2 فلسطين في البرامج والانشطة

بدأ تناول هذه المسألة ضمن برامج المواد الاجتماعية، وبصفة خاصة بإعادة التاريخ، منذ اعتماد التعليم الزيتوني، وبرزت تحركات الطلاب الزيتونيين المساندة لحقوق الشعب الفلسطيني، أما بعد استقلال تونس - سنة 1956 - فقد اهتمت البرامج الرسمية والكتب المدرسية التونسية في المؤسسات التعليمية الرسمية بالقضية الفلسطينية مع اعتماد التعليم العصري، ولكن بشكل بطيء ومحتشم في العقود الأولى؛ بسبب عوامل أيديولوجية ومواقف سياسية، كانت تضع الحبيب بورقيبة في موقف مختلف مع مواقف الزعماء العرب في المشرق العربي. أما خلال العقود الأخيرة، وخاصة بعد الانتفاضة، فقد ازداد الاهتمام، وخاصة في المواد الاجتماعية وفي التاريخ، وكان الحضور الفلسطيني في البداية محتشماً في البرامج التعليمية بعد تأثره بالخلاف البورقيبي - الناصري خلال العقود الأولى من الاستقلال، ثم سرعان ما تميزت القضية الفلسطينية بالحضور المكثف، وخاصة في مناهج المرحلة الثانية من التعليم الثانوي، مع تنزيلها في إطار نضالات الشعوب المستعمرة من أجل التحرر والانعقاد. ويمكن التمييز بين المواد حسب أولوية اهتمامها بموضوعات حول فلسطين في العناصر الآتية:

(1) البرامج الأدبية واللغوية وبرامج مواد الاجتماعيات: وتشمل الأدب الفلسطيني والعربي حول القضية الفلسطينية؛ إذ نجد نصوصاً لكتاب وأدباء وشعراء فلسطينيين، ضمن مواد اللغة والأدب العربيين بمختلف أجناسهما (الزوابي، 2023).

(2) البرامج التاريخية وبرامج التربية الوطنية: وبها إشارات وتعريجات على تاريخ احتلال فلسطين، وفي سياق التقسيم، الذي فرضته الاتفاقيات والتدخلات الاستعمارية بالمنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص.

فقد نوّهت المتفردة العامّة في مادّة التاريخ والجغرافيا في وزارة التربية، بحضور القضية

في المدرسة التونسية، وفق معالجة نقدية علمية قائلة:



«إن حضور القضية الفلسطينية في البرامج الرسمية لمادّة التاريخ يستهدف جملة من القدرات التي تساهم في تعزيز الوعي بالقضية وأهميتها التاريخية والسياسية ويمكنّ المتعلمين من اكتساب معارف تتعلّق بالصّراع الصهيوني الفلسطيني وتأثيره في المنطقة والعالم. بالإضافة إلى التشجيع على تنمية التفكير النقدي والنقاشات البناءة حول حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية وتعزيز الوعي السياسي لدى الناشئة بقضايا العصر» (الزوابي، 2023).

(3) برامج التربية التشكيلية والفنية: للقضية الفلسطينية حضور في دروس التربية التشكيلية، من خلال الصور الجادة واللوحات العارضة لمشاهد طبيعية، تبين الشراء الطبيعي لفلسطين طبيعة وتراثاً معماراً وزراعة، والكاريكاتورية الفاضحة لبشاعة الاحتلال، فضلاً عن حضور صور الزعماء والفدائيين، والقصائد، والأغاني الوطنية، وأناشيد المقاومة الفلسطينية والقومية العربية، التي كانت تستنهض الهمم وتغذي مشاعر الارتباط بالأرض وبالوطن وتذكي قيم الممانعة والمقاومة.

(4) نوادي الإبداع والتنشيط الثقافي والاجتماعي في المعاهد الثانوية وفي الإعداديات: في إطار سياسة وبرمجة موجهة متفاعلة مع تطورات القضية الفلسطينية في السنوات الأخيرة، يتم تكييف نوادي الأدب والشعر والإبداع، بما يجعلها حاضنة للقضية الفلسطينية، وذلك بارتفاع حيز النشاط الموجه للتعريف بالقضية الفلسطينية، وتحفيز الطلاب على التفاعل معها ودعمها عبر رفع العلم الفلسطيني وتحيته كل صباح إلى جانب العلم التونسي، وتنظيم مظاهرات مساندة في ساحات المدارس وفي الشارع، حسب تطورات الأحداث، وهو ما لوحظ بعد أحداث السابع من تشرين الثاني/ نوفمبر 2023، وقد تم ذلك بدعم وتوجيه من وزارة التربية والنقابات. ويمثل اهتمام «ملتقى معلمي تونس العربي الدولي» المنعقد في 27 تشرين الأول/ أكتوبر عام 2023 علامة مضيئة في سياق تطور الحضور

الفلسطيني لدى القائمين على الشأن التربوي؛ بإدراج نشاط بيداغوجي معبر هو «درس قراءة: القدس عاصمة فلسطين».

لكن التسلسل الزمني لحضور القضية وتحليل الأحداث المرتبطة بها والبحث في جذورها، يتم عادة وفق منهجية علمية تتسم حسب مسؤولي الإرشاد والتوجيه البيداغوجي بالموضوعية والنزاهة، في إطار معرفة مدرسية خاضعة للتقلّب التعليمي، تراعي عدّة جوانب، أهمها: قدرات المستهدفين بالتدريس، ومستوى المتعلمين، وملامح المتخرج، وغايات النظام التربوي التونسي (مقابلة مع متفقدة التعليم الثانوي الأستاذة فائزة علوش مقابلة في موقع «ألتراتونس» (الزوابي، 2023).

### ثالثاً: مكانة القضية الفلسطينية في تفاصيل البرامج والمناهج الدراسية

سنعرج، فيما يأتي، بشيء من التفصيل، على بعض المحاور كشواهد عن إدماج النصوص والقضايا الفلسطينية، ضمن المناهج الدراسية للمتعلمين في بعض المستويات في التعليم الثانوي التونسي، ومنها:

#### المستوى الأوّل: التاسعة من التعليم الأساسي

يتناول المحور الثاني من هذا المستوى، المهياً للدخول إلى المرحلة الثانوية، بالدرس أهم التطورات التي عرفها العالم والبلاد التونسية، خلال الفترة المعاصرة، حيث تدرج القضية الفلسطينية في الدرس الثالث ضمن محور «العالم بعد الحرب العالمية الثانية»، وتأتي مباشرة بعد أن يتعرض التلميذ إلى درس تحرر الشعوب المستعمرة. كما تنصّ التوجيهات في البرامج في شأن هذا الدرس على ضرورة الإشارة في المقدمة إلى «جذور القضية الفلسطينية»، ثم يتمّ التطرق، فيما بعد، إلى المراحل الكبرى بدءاً من 1945 وصولاً إلى اتفاقية أوسلو، وذلك بالاعتماد على سلم زمني محدد.



## المستوى الثاني المتصل بالسنوات الثالثة ثانوي (شعب علمية)

في إطار دراسة أزمات القرن العشرين وتحولاته، ترد القضية الفلسطينية في الدرس الرابع والأخير من البرنامج، وتنصّ التوضيحات على التركيز على «الأطوار الكبرى من الانتداب البريطاني إلى اتفاقية أوسلو». التعليمية بالنسبة لهذا المستوى مفتوحة؛ إذ تعطي مجالاً للأستاذ كي يتصرف في المحتوى مع التركيز على الأطوار. المؤسف أن هذا الدرس لا يتناوله إلا قلة من المدرسين ممن يحرصون على إتمام البرنامج الرسمي في الآجال، باعتباره الدرس الأخير في البرنامج.

بعد بحث وتحقيق، نجد أن فلسطين تكاد تغيب عن المدرسة التونسية في المراحل الوسطى من التعليم الثانوي، حيث تمثل تلك المرحلة من العمر مرحلة بناء مرتكزات الشخصية. فعدا درس يتيم ومختصر في مستوى البكالوريا في اختصاص الآداب، لا يوجد ذكر للقضية الفلسطينية بوضوح واستفاضة، وحتى النصوص الشعرية والأدبية المدرجة في بعض المحاور لكتاب فلسطينيين لا يتجاوز مدى شرحها الجوانب الفنية والجمالية.

بخلاف الجامعات التونسية، نلاحظ أن المدرسة التونسية لا تحتفي بالمواعيد والتواريخ المهمة التي تهم القضية الفلسطينية، مثل: يوم الأرض، ويوم الشهيد وغيرها، إذ يبقى التلميذ التونسي بعيداً عن القضية الفلسطينية إلى حدود ذهابه إلى الجامعة، حيث تتكفل بثقافته وتأطيره النقابات الطلابية بمختلف أجنحتها غالباً، والتي لا تزال إلى اليوم تحمل الحق الفلسطيني بين جناتها جيلاً بعد جيل. ولكننا نلاحظ أن سنة 2023 شكلت منعطفاً مهماً في المدرسة التونسية، في جانب الاهتمام بالقضية الفلسطينية، بشكل موجه ومدعم من وزارة التربية ومن الإدارة المدرسية.

## المستوى الثالث: السنوات الرابعة ثانوي (شعب الآداب)

تدرس القضية الفلسطينية ضمن تاريخ العالم المعاصر، بعد 1945، في محور «تحرر الشعوب المستعمرة» في الدرس الثالث، وتنصّ التوجيهات البيداغوجية المتعلقة بهذا

الدّرس على ضرورة الإشارة إلى «جذور القضية الفلسطينية، مع التّركيز على المراحل الكبرى من الانتداب إلى اتفاقية أوسلو».

## فلسطين لدى طلاب البكالوريا التونسيين

بالإضافة إلى ما تتضمنه برامج التعليم في السنة النهائية من التعليم الثانوي، المؤدية إلى الحصول على شهادة البكالوريا التي تؤهل للدخول إلى التعليم العالي، من مواد تتعلق بالقضية الفلسطينية، مثل: إدراج مواضيع ذات علاقة بالقضية الفلسطينية بمواد الفلسفة، واللغة العربية، والتاريخ، وكثيراً ما يكون الاختبار فيها في شكل كتابة مقالة تولي الأهمية للجانب التعبيري، وتدفع الطالب على التفكير وإبداء الرأي في موضوع أدبي، أو فلسفي، أو تاريخي، أو سياسي، انطلاقاً من برامج دراسية، تتفاوت في مستويات إعطاء المكانة لفلسطين والقدس والمقاومة، ولكنها في عمومها تستند إلى نصوص ومعطيات تاريخية، وأدبية، وفنية، وفكرية، وحضارية تتعلق بفلسطين كوطن وكثورة.

بالإضافة إلى ذلك، تعطي المعاهد الثانوية في مستويات البكالوريا، بمختلف شعبها الأدبية والعلمية، مكانة خاصة في نهاية كل سنة للقضية الفلسطينية وللقدس ولغزة بشكل خاص. ذلك ما عرفته المعاهد من تظاهرات ما يسمى بـ«أيام البكالوريا»، التي أصبحت من عادات طلاب هذه المرحلة في الأيام الأخيرة من العام الدراسي، حينما يحتفل الطلبة في مؤسساتهم، وبالاعتماد على أنفسهم، بما يسمونه بـ«الدخلة» من إقامة احتفالات جماعية. وأصبح الحضور الرمزي الفلسطيني بها أمراً ملحوظاً باختفاء مظاهر الرقص والفرح، مقابل ارتفاع المظاهر الاحتفالية الجادة الملتزمة بمساندة الشعب الفلسطيني والتضامن معه؛ عبر رفع الأعلام والشعارات واللافتات، وترديد الأغاني والأناشيد الثورية والوطنية، وتمثيل المشاهد المساندة والدافعة إلى الارتقاء بالوعي الطلابي والشبابي، باتجاه التضامن والمساندة للقضية الفلسطينية.

من مظاهر تطور الحضور للقضية الفلسطينية، في اهتمامات المنظومة التعليمية التونسية،



نجد أنه بين سنتي 1998 و2023 طرحت القضية الفلسطينية أربع مرّات في امتحان البكالوريا (1998 بالنسبة لشعبي الآداب والاقتصاد والتصرف، و2012 و2018 و2022 بالنسبة لشعبة الآداب).

## القضية الفلسطينية في برامج العربيّة بتونس

بعد الأستاذ قصي المليح (المليح، 2024)، متفقد التعليم الثانوي، أن للقضية الفلسطينية في برامج العربيّة حضورًا مميّزًا، يشي بالعلاقة التاريخيّة والوجدانيّة بين الشعب التونسي والشعب الفلسطيني، علاقة يجلوها على نحو بليغ نصّ «صديقة من فلسطين»، مقتطف من رواية «دروب الفرار» للروائيّة التونسيّة حفيظة قارة بيان. كما يجسدها نصّ مندرج ضمن محور الأطفال في العالم» في كتاب الأنيس لتلاميذ السنة السابعة من التعليم الأساسي.

ورد في كتاب «أنوار، وزارة التربية» (2024)، الذي نشره المركز الوطنيّ للبيداغوجي، نصّ يحكي قصّة التلميذة «ليلي غسان»، القادمة من الوطن المحتلّ فلسطين، لتشارك «شرو» قسمها ومقعدتها وحكايات التشريد والتّهجير، إذ حلّت عائلتها بتونس قبل أن يحصل والدها على تصريح لزيارة فلسطين ورؤية أمّه هناك بعد عشر سنين من الغياب، قبل أن ترحل ليلي ولما تكمل امتحاناتها، ولتظّل شرو «تذكر صديقتها طفلة جميلة لا تكبر... وجرحًا موجعًا لا يندمل». كما تحضر فلسطين في نصّ «طباق» للشاعر الفلسطينيّ المقاوم محمود درويش، مقتطف من ديوانه «كزهر اللوز أو أبعد»، ضمن محور «تفاعل الثقافات والحضارات» في كتاب «أنوار» لتلاميذ السنة التاسعة من التعليم الأساسي.

إشراف وزارة التربية ونشر المركز الوطنيّ للبيداغوجي بتونس، وفي النصّ يطرح سؤال الوطن والهويّة، وسؤال الشرق والغرب، وسؤال المنفى والانتفاء، على النحو الآتي:

«منفى هو العالم الخارجيّ

منفى هو العالم الباطنيّ،

فمن أنت بينها؟

ففي السّفر الحرّ بين الثقافات

قد يجد الباحثون عن الجوهر البشريّ

مقاعد كافية للجميع...

كما تحضر القضية الفلسطينية، ضمن محور الشعر الوطنيّ، في كتاب «آفاق أدبية» لتلاميذ السّنة الأولى من التّعليم الثّانويّ: كتاب «آفاق أدبية: وزارة التربية (2024)؛ إذ أُدرج نصّان في المقاومة ونداء الحرّية للشّاعرين الفلسطينيّين: محمود درويش من ديوانه «آخر الليل»، وهدوى طوقان من ديوانها «الليل والفرسان».

وضمن محور الشّعر الحديث في كتاب النّصوص لتلاميذ السّنة الثّالثة من التّعليم الثّانويّ، أدرجت خمسة نصوص: للشّاعر الفلسطينيّ محمود درويش في المرأة واقعاً ورمزاً، وفي النضال والالتزام، وفي نشر الذات (ريتا والبنديّة، مطر ناعم في خريف بعيد، أحمد الزّعر، سأصير يوماً ما أريد، من تعاليم حوريّة).

## رابعاً: خاتمة

يمكننا اعتبار أنّ دعم الدّولة والشعب التونسيّين المتواصل للقضية الفلسطينية قد أعطى صورة مشرفة لشعب يتطلع للكرامة والانعقاد، وهو ما يعكس وجود انسجام بين الجانبين الرسمي والشعبي في مناصرة حق الشعب الفلسطيني في نضاله لإقامة دولته، وتحرير أراضيه كافة من الاحتلال، هذا الدّعم بدأ يترجم إلى إجراءات عملية، من بينها: سعي النخب ومكونات المجتمع المدني نحو تمرير مشروع قانون «تجريم التطبيع» بمجلس النواب، رغم الضغوط الخارجية، ومن مظاهر ذلك تعزيز إدراج القضية الفلسطينية في برامج التعليم بمختلف مستوياته، وخاصة في مواد التاريخ، والمواد الاجتماعية والإنسانية، كالترية المدنيّة، والفلسفة وغيرها.

إنّ التزام تونس بدعم القضية الفلسطينية وتعزيز الوعي الثقافي والتاريخي للأجيال القادمة من شأنه، وفق ما تراه فائزة علوش متفقدة التعليم الثّانوي بوزارة التربية الوطنية،



أن يولّد لديها الشعور بالمسؤولية تجاه هذه القضية، مما يساهم في تشكيل جيل واع ومستعد لتحمل دور إيجابي في بناء عالم أفضل وأكثر عدالة. على أن التركيز على الجانب الكرونولوجي في تدريس القضية (التركيز على الأطوار)، لا يشجّع كثيرًا المتعلّمين على البحث والتّفكير النقدي حول دوافع ومخاطر الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين وتداعياته.

لذا، يتعين على البرامج مستقبلًا، الإلمام بمختلف الجوانب التاريخية والسياسية والاجتماعية للقضية، مما يساعد الناشئة على تطوير مهارات البحث والتحليل، وفهم القضية بشكل أفضل، والمساهمة في دعمها بالشكل الأنسب. ومن المهم أيضًا العمل على مراجعة البرامج التعليمية، وتحسينها، وتطوير الجهود في هذا الاتجاه، لضمان حضور القضية الفلسطينية في برامج التاريخ بشكل أنسب في جميع المستويات الدراسية، وخاصة بعد التطورات الراهنة وتحقيق الإجماع العالمي على حق الشعب الفلسطيني في استعادة أرضه، وفي بناء دولته وعاصمتها القدس.

## خامسًا: توصيات

- مراجعة وزارة التربية التونسية لبرامج التعليم ومناهجه بخصوص المستوى الضعيف لحضور القضية الفلسطينية، من مختلف الجوانب التاريخية، والسياسية، والجغرافية، والثقافية، والدينية، بحيث يقتضي التطور والمنطق التفاعل مع مشاعر المواطنين ومواقفهم السياسية الداعمة للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع، حتى تكون المنظومة التعليمية التونسية أكثر اهتمامًا وتركيزًا وشمولية في تناولها لفلسطين والقدس، بما ينسجم مع جملة التطورات والتحويلات الخطيرة التي تمر بها هذه القضية عربيًا ودوليًا.

- إعطاء القدس، كمركز ثقافي وكرمز حضاري عربي إسلامي، المكانة التي تستحقها، وفق خطة إستراتيجية متعددة المراحل ومتدرجة الجوانب، في برامج التعليم بمختلف مراحلها، دفعًا لتصحيح وتمتين علاقة الطلاب التونسيين بالقضية، وإثراء رصيدهم

الثقافي، وتطوير مستويات اطلاعهم على تاريخ فلسطين ونضال شعبها، من أجل دعمه في مختلف المواقع التي سيكونون فيها مستقبلاً، من أجل نيل استقلاله، وبناء دولته وعاصمتها مدينة القدس.

- يتطلب بناء هذه الخطة المستقبلية تنسيقاً محكماً بين وزارة التربية التونسية ووزارة التربية الفلسطينية، من خلال تفعيل اتفاقيات التعاون والعمل المشترك بين البلدين الشقيقين.

- تنظيم لقاءات دورية مشتركة بين هيئات التدريس في المعاهد الثانوية والمدارس الثانوية والابتدائية، من خلال ورشات العمل، والزيارات المتبادلة.



## المراجع

- بوحليلة، دنيا السماعيل. (2021 /04 /20). التعليم في تونس: المنجز الماضي والانحدار الحاضر وتحديات المستقبل». موقع البارومتر العربي. يُنظر الرابط الآتي (شوهدي في 2024 /09 /15):  
<https://www.arabbarometer.org/ar/202104//> /-تونس-المنجز-الماضي- /والانحد
- الثعالبي، عبد العزيز. (1988). خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الحناشي، عبد اللطيف. (2007). «موقف بورقوية من القضية الفلسطينية (1965 – 1946)». مجلة الدراسات الفلسطينية. المجلد (18). العدد (69). ص: 52-74.
- الزواي، أحمد. (2023 /11 /1). «القضية الفلسطينية في برامج التعليم في تونس.. حضور ضعيف يقتضي التعزيز والتحيين». موقع ألترا تونس. يُنظر الرابط الآتي (شوهدي في 2024 /10 /20):  
<https://ultratunisia.ultrasawt.com/> -تونس- في-برامج-التعليم- في-تونس- حضور-ضعيف-يقتضي-التعزيز-والتحيين/ أحمد-الزواي/ مجتمع
- وزارة التربية. كتاب «آفاق أدبية» لتلاميذ السنة الأولى من التعليم الثانوي، الكتاب المدرسي.. نشر المركز الوطني للبيداغوجي. ص: 207-213.
- وزارة التربية. كتاب «أنوار» لتلاميذ السنة التاسعة من التعليم الأساسي.. المركز الوطني للبيداغوجي. تونس.
- Sraieb, Nouredine. (1968). «Mutations et réformes de structures de l'enseignant en Tunisie, Annuaire de l'Afrique du Nord», Centre national de la recherche scientifique; Centre de recherches sur l'Afrique méditerranéenne (CRAM), Paris, Editions du CNRS, pp. 451-14.